العلاقة الشخصية مع المسيح

يطيب لنا في بداية العام الجديد أن نقدِّم لك، أيها القارئ العزيز، بعضًا مما قدَّمه مدير تحرير المجلة المتنيح الأب باسيليوس المقاري في كتابه: "تأملات في شخص المسيح الحي" (ص ٢١–٢٣)؛ وذلك في الذكرى الأولى لنياحته[١].

التعليم عن المسيح يُركِّز على العلاقة الشخصية مع المسيح:

المسيحية هي أولًا علاقة شخصية مع شخص المسيح: «اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ» (يو ١٥: ٤).

فهي ليست مبادئ أو أفكارًا أو مؤسسة. لقد تحدَّدت المسيحية بالدستور الإيماني (قانون الإيمان المُقرَّر في مجمع نيقية المسكوني ومجمع القسطنطينية المسكوني - سنة ٣٢٥م، ٣٨١م)، وبالتقليد الكنسي، كعلاقة شخصية بين المؤمن والمسيح. فالمسيح هو موضوع إيمان المسيحي، لذلك ففي شخص المسيح تتمركز حياة المؤمن المسيحي.

فالمسيحية هي إيمان في شخص المسيح. والقديس بولس الرسول دائمًا ما يُذكِّر المؤمنين بمعنى الإيمان بالمسيح بالسؤال الآتي: «هَلْ أَنْتُمْ فِي الإِيمَانِ؟ امْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ. أَمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ أَنْفُسَكُمْ، أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ فِيكُمْ» (٢كو ١٣: ٥). فالإيمان بالمسيح يعني – لا مجرد التصديق بمعلومات عن المسيح – بل بالحري الحضور الباطني للمسيح داخل المؤمن المسيحي.

والتعليم المسيحي كله مؤسَّس وقائم على هذه العلاقة الشخصية الباطنية بين المؤمن المسيحي وبين شخص المسيح الحي. والتعليم المسيحي يهدف إلى أن يُظهِر الطريق نحو الإيمان في شخص المسيح بهذه الصورة.

---

(١) الراهب باسيليوس المقاري، تأملات في شخص المسيح الحي، ص ٢١ إلى ٢٣

وهنا تظهر حقيقة كيف أن الكنيسة تكوَّنت وظهرت من هذا الإيمان وتلك الثقة في شخص المسيح.

وهذه الحقيقة أساسية جدًّا في فهم شخصية المسيح وعمله الذي قام به، وفي فهم العبادة المسيحية، وفي فهم الكنيسة، وفي إدراك الحياة المسيحية الحقَّة، كما سنرى في الفصول القادمة.

أما إذا غابت هذه الحقيقة عن ذهن أحد، فهذا يعني أنه اختار أن ينظر إلى شيء آخر غير "المسيحية".

بل إننا لابد أن نفهم: لماذا صار شخص المسيح ذا أهمية قصوى في المسيحية إلى هذا الحدِّ؟ وبالتالي، لماذا لا يكون المسيح حينئذ هو «اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ»؟ (١تي ٣: ١٦؛ ارجع لكتاب **"تجسُّد الكلمة"** للقديس أثناسيوس الرسولي، الفصول ١٥-٢١).

فالتعليم المسيحي والتعلُّم عن المسيح حقيقتان لا تنفصمان.

ولابد لنا أن نعرف أن الله الواحد قد استُعلِن لنا في المسيح: «اللهُ، بَعْدَمَا كَلَّمَ الآبَاءَ (في العهد القديم) بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ» (عب ١: ١و٢).

هناك أفكار ونظريات كثيرة عن الله، ولكن كل هذا لا يمكن أن يُقاس أو يُفحص إلَّا على ضوء معرفة الله من خلال المسيح، وبالتالي **لابد أن نتعلَّم المسيح** أولًا قبل أن نغوص في مناقشاتنا مع الأفكار والنظريات الأخرى عن الله، وإلاَّ فإننا سنغرق في المجهول. **أمَّا تعلُّمنا عن المسيح فلن يمكن أن يتحقَّق إلَّا بشركتنا الباطنية مع شخصه المُبارك.**

وهذا ما يدعونا إليه القديس يوحنا الرسول (التلميذ الذي كان يسوع يحبه): «اَلَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضًا شَرِكَةٌ مَعَنَا. وَأَمَّا شَرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَنَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ يَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلًا» (١يو ١: ٣،٤).

وليت هذه الدعوة تكون متحقِّقة في كل إنسان مسيحي، أو فليبدأ فيها، «لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلًا» حسب وعد المسيح (يو ١٦: ٢٤).